تفسير

سورة الفاتحة وقصار السور

(برنامج الأشبال العلمي)

من الدرس (١) إلى والدرس (٣)

فضيلة الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٤٤٢/١٠/٢٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علَّمتنا وزدنا علمًا ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد :

في هذا المجلس أعلِّق تعليقا يسيرا على معاني سورة الفاتحة وقصار السور بدءً من سورة الزلزلة إلى سورة الناس ؛ ببيانٍ مختصر وتفسيرٍ موجز لمعاني هذه السور .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾.

○ الاستعاذة يُشرَعُ الإتيان بها في كلّ مرَّةٍ يتلو فيها المسلمُ كتابَ الله ـ تبارك وَتعالى ..

وَالاستعاذة: التجاءٌ إلى الله، وَطلبٌ منه ـ تبارك وتعالى ـ أن يُعيذَ عبدَه، وَأن يَقِيَهُ من الشّيطان الرَّجيم.

وَإنّما شُرِعَت الاستعاذةُ بَيْنَ يدَيْ تلاوةِ كتاب الله ﷻ؛ لأنّ الشّيطانَ أشدّ مَا يكون حرصًا على صَرفِ العَبد عَن هذا الكتاب العَظيم وَالفَوز بهداياته وَالوقوف على مَعانيه وَمضامينه والتّأثّر به؛ فشُرِعَ للعَبد أن يَستَعِيذَ بالله من هذا الشّيطان حتّى تَكونَ قراءته لكتابِ الله ـ تبارك وتعالى ـ قراءةً سالمةً من وَساوس الشّيطان وَهَمْزِه ونَفْخِه، مَحفوظًا بِحفظ الله.

و«**الشّيْطَان**» أي: العَاتي المتَمرّد، الغَاوِي المغْوِي لعبادِ الله، الصَّادّ لَهم عَن طَاعةِ الله ـ تبارك وتعالى ..

«**الرَّجيم**» أي: المطرود المُبعَد الملْعون، الّذي أبعَدَه اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ من رَحمته، ولما كان مُبعَدًا عن الرَّحمةِ أراد أن يُبعِدَ عبادَ الله عنها، فَطلبَ منَ العَبد أن يَستعِيذَ بالله من هَذا الشّيطانِ العاتي المتَمرّد، الّذي يَعمَل عَلى صَرف الإنسان عَن طَاعة الله وَعبادتِه وَالفَوزِ برَحمَتِه ـ جلّ في عُلاه ..

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ البَسملةُ آيةٌ من كتابِ الله ﷻ، يُؤتَى بها بين يَدي تِلاوة كلّ سورةٍ، عَدا: سُورة براءة.

وَالبَسملةُ: هِي كَلمةُ استعانةٍ بالله ـ تبارك وتعالى ـ، وَمعنى بدءِ التّلاوة بالبسملة: أي أنّ مَنْ يَتلو كتابَ الله يبدأ تلاوتَه مُستَعينًا بالله؛ لأنّ الباء في: «بِسْمِ اللَّهِ» باء الاستعانة، مُتبرِّكًا بذِكْرِ اسمِهِ ـ تَبارَك وَتعَالى ..

﴿اللَّهِ﴾ عَلَمٌ عَلى الله ﷻ، وَمعناه: ذُو الألوهيَّةِ وَالعبوديَّةِ عَلى خَلقِه أجمعين، وَهُوَ دالّ على ألوهيَّةِ الله: وَهِي أوصافُ الكَمال وَالعَظمةِ وَالجَلال الّتي استَحَقّ بها أن يُؤْلَهَ وَأن يُعبَدَ وأن يُذَلّ لَه ويُخضَع لَه ـ جلّ في عُلاه ـ، وَدالّ عَلى العبوديَّة: وَهِي أفعال العَبد الّتي يَقتَضِيها هَذا الاسمُ؛ من ذُلٍّ، وخضوع، وَانكسارٍ، وَإقبال عَلى الله ـ تبارك

وتعالى ..

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمَانِ مُشتَقّانِ منَ الرَّحمة، دالّان عَلى ثبوتها لله ـ سُبحانَه وَتعَالى ـ؛ أمَّا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ فَهو دالّ على الرَّحْمةِ الواسعةِ الشّاملَة، قَالَ تَعَالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ دالّ عَلى مَا خصَّ اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ بهِ أولياءَه وَأصفياءَه، كَما قال ـ جلّ في عُلاه ـ: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ الحَمدُ: هو الثّناءُ على الله مَع الحُبِّ له ـ جلّ وعلا ـ، والله ﷻ يُثنى عليه على أسمائه الحُسنى وصفاته العُليا، ويُثنَى عليه على نِعَمه وآلائه ومنَنِه الّتي لا تعَدّ ولا تحصَى.

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: خالقِهم، ومالكِهم، والمدَبّرِ لهُم، والمتَصرّف فيهم، لا شريكَ له في شيءٍ من ذلك، والعالَمُون: هُم مَنْ سِوَى اللهِ.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: المتّصِفُ بالرَّحمة العامَّةِ والخاصَّةِ كما تقدّم.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وَفي قراءةٍ: ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: يَوم الجَزاء وَالحسَاب، فالدّينُ هو الحسَاب، وَمن أسماء ربّنا ـ جلّ وعَلا ـ: «الدّيّان» أي: المجازي المحاسِب، وَهذا فيه: الخوفُ منَ الله ـ تبارك وتعالى ـ، ومن لقائِه والوقوفِ بين يدَيْه، كَما قال الله ـ جلّ وعَلا ـ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [سورة الانفطار].

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فيها: إخلاصُ العبادةِ وَالاستعانةِ؛ فقَوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أي: أخلصُ لك عبادَتي، فلا أعبُدُ غيرَك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ أي: أخلصُ استعانَتي بكَ، فَلا أستَعينُ بأحدٍ سِوَاكَ.

ففي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ بَراءةٌ منَ الشّرك، وَفي قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ براءةٌ من الحَوْل والقوّة.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ تَحقيقٌ لـ: لا إلهَ إلّا اللهُ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ تَحقيق لـ: لاحولَ ولا قوّةَ إلّا بالله.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فيها الخُلوصُ منَ الشّرك والرّياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فيها خلوصٌ من العُجْبِ والكبريَاء.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أي: دُلّنَا ووَفّقْنا يا اللهُ؛ لسُلوكِ هذا الصّراط المستَقيم واتّباعِه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهو دينُ الله الّذي رَضِيَه لعبادِه، ولا يَرضَى لهم دينًا سِواه.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: من النّبيّين، والصّدّيقين، والشّهَداءِ، والصّالحينَ، وحَسُنَ أولَئِكَ رَفِيقًا، مَنْ جمَعوا بين العِلم النّافِع والعَمل الصّالح؛ فإنّ المنعَمَ عَليهم هُم أهل العِلم والعَمل.

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ وَهُم: اليهودُ، ومَنْ سَلك نَهجَهم، ممَّنْ يَعلَمُ الحقّ ولا يَعمَل بهِ.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهُم: النّصارى، ومَنْ سَلَكَ مَسلَكَهم؛ ممَّن يَعبُد اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ بغير بصيرةٍ ولا عِلم.

والمقصودُ: التّحذير منَ علماء السُّوء وعُبَّادِ الضَّلال، كما قال سُفيان ابنُ عُيَيْنَة: «مَنْ فَسَدَ من عُلمائِنا؛ كان فيه شَبَهٌ منَ اليهود، ومَنْ فسَدَ من عُبَّادِنا؛ كانَ فيه شَبَهٌ منَ النّصارى»[1].

ومن أعْظَم ما يُعِينُ على فَهم هَذه السُّورَةِ: حَديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ فيما يَروِيهِ عن رَبِّه ـ تبارك وتعالى ـ أنّه قال: «**قَسَمْت الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلعَبْدِي مَا سَألَ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ**: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ**: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلعَبْدِي مَا سَألَ، فَإِذَا قَالَ**: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **قَالَ: هَذَا لعَبْدِي، وَلعَبْدِي مَا سَألَ**»[2].

ومعنى: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ**» أي: الفاتحة، وسُمِّيَت صَلاةً؛ لأنّه لا صَلاةَ لمن لم يقرَأ بها، لعِظَم مكانَتِها في الصَّلاة.

وَمعنى قسْمها بينَ الرَّبِّ والعَبد: أي: أنّ ثلاثَ آياتٍ ونصف منها للرَّبِّ، وهي: أوَّلها، وثلاث آيات ونصفٍ للعَبد، وهي: آخِرها.

فأوَّلها: ثناءٌ على الله، وآخِرُها: دُعاءٌ للعَبد.

وَهي تسَمَّى: «أمَّ القرآن» لأنّها حوَت إجمالًا ما حواه القرآن تفصيلًا، وهي مليئةٌ بالدّروس والعِبر، وتقريرِ قَواعدِ الدّين وأصُول الإيمَان، وأمورِ الشّريعَة والأخلاق والآدابِ، إلى غير ذلكَ ممَّا حوَته هذه السُّورةُ العَظيمةُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

○ هذه السُّورة العظيمة «سورة الزَّلزَلَة» فيها ذِكْرُ الرَّبِّ ـ جلّ في عُلاه ـ للأهوال العَظيمة الّتي تكون بين يَدَيْ قيام السَّاعةِ؛ فإنّ ممَّا يكون بين يدي قيام السَّاعة: تَزلْزُل الأرضِ، وهو ارتجاجُها واهتزازُها.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: ارْتَجَّتْ واهتزَّتْ وتحرَّكَتْ.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: أخْرَجَتِ الأرضُ ما في بطنها من الأموات الّذين دُفِنُوا فيها، وألْقَتْ ما فيها من

(١) ذكره ابن كثير: في «تفسيره» (٤/ ١٣٨).
(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥).

كنوز، وهذا الإخراجُ لهؤلاء النّاس منَ الأرض هو إيذانٌ بقيام السَّاعةِ والوقوفِ بينَ يدي الله ـ تبارك وتعالى ..

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي: يقوم الإنسانُ من قبرِه إلى حَشرِه ووقوفِه بين يدَي ربِّه مذهولًا من هذا الأمرِ العجيبِ والمنظَرِ المهُول، قائلًا: ما لَهَا؟! ما للأرض حَصَلَ لها هذا الّذي حصَل؟!

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تحدّث الأرضُ بما كان عليها وما فعلَه النّاسُ فَوْقَها من خيرٍ أو شرٍّ؛ وهذا فيه أنّ الأرضَ تَشهَدُ بما حصل عليها من أخبارٍ وأحوال وأقوال وأعمال قام بها النّاسُ، وهي شهادةٌ منها عليهم بأمر الله، كما قال الله سبحانه: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمَرها وأذِنَ لها بهذه الشّهادة.

ثمَّ من بعد ذلكَ يكون حال النّاسِ الصُّدورَ من أرضِ الموقِفِ لملاقاةِ الجزاءِ والحسابِ كلّ بحَسَبِ عَمله؛ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: أصنافًا وأجناسًا، كلّ بحَسب عمله من خيرٍ أو شرٍّ، ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: يُعاينوا ويُشاهِدوا ويقفُوا على ما قدّموه واقتَرفُوه وفعَلوه من أعمال، سواءٌ كانَتِ الأعمال خيرًا أو شرًّا، مُحصَاةً عليهم، وهذا الإحصاءُ للأعمال ـ خيرِها وشرِّها ـ بمثاقيل الذّرِّ، يُرَوْا أعمالَهم كلّها، لا ينقصُ من عملهم شيءٌ؛ لا من خيرِ العَمل ولا من شرّه، لا من قليله ولا من كثيره، ثمَّ ينالوا الثّوابَ على العمل الصّالح، والعقابَ على العمَل السَّيّءِ.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ الذَّرَّةُ: هي الواحدةُ من صغار النّمل، فالوزن يومَ القيامة بمثاقيل الذّرّ في خيرِ الأعمال وشَرّها، وهذا فيه تنبيهٌ للعبادِ أن لا يحقِرُوا من أعمال الخَير شيئًا، وقد قال النّبيُّ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ: «**اتّقوا النّارَ ولَوْ بِشِقّ تَمْرَةٍ**»[٣]؛ فإنّ الوزنَ يوم القيامة بمثاقيل الذّرِّ.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: من خير ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: من شرٍّ ﴿شَرًّا يَرَهُۥ﴾ أي: عقوبةً على أعماله جزاءً وفاقًا، وهذا فيه التّحذير من الاستهانة بمُحقّراتِ الذّنوبِ، كما جاء في حديث عائشة ؓ: «**إيَّاكُمْ وَمُحَقّرَاتِ الأعْمَال؛ فَإنّ لَهَا منَ اللهِ طَالبًا**»[٤]. بل عليه أن يجتَنِبَ الذّنوبَ كبيرَها وصغيرَها، وإنْ وَقَعَ في شيءٍ منها بادر إلى التّوبةِ والإنابةِ إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ . ●

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾.

○ هذه السُّورة العظيمة «سورة العاديات» فيها قَسَمٌ من الله ـ تبارك وتعالى ـ بهذه المخلوقات، والله ﷻ يُقسِمُ بما شاء من مخلوقاته، وإقسامُ الله تعالى بهذه المخلوقات فيه تشريفٌ لها، وأمّا المخلوق فلا يجوزُ له أن يُقسِمَ إلّا بالله؛

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٤) أخرجه النّسائي في «الكبرى» (١١٨١١)، وابن ماجه (٤٢٤٣)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٥١٣).

لقول النّبيّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[٥]. ولقوله: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»[٦].

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾هذا قَسَمٌ منه ـ تبارك وتعالى ـ بالخَيْل المنطَلَقة عدْوًا، على مُتونِها المجاهدون في سبيل الله، الصَّابِرُون المحتَسِبون، القاصدون بجهادهم إعلاءَ كلمة الله ـ تبارك وتعالى ـ.

والعَدْوُ معروفٌ؛ وهو سُرعةُ جَرْيِها، مُتّجهَةً إلى أماكن أعداءِ دين الله ـ تبارك وتعالى ـ، والضَّبْحُ: هو نَفَسُ الخَيْل، فمَع شدّةِ عَدْوِها وجَرْيِها يَخرُجُ منها هذا النّفَسُ بهذا الصَّوْتِ.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ أي: أنّ حوافِرَها مع شدّةِ جَرْيِها وعَدْوِها وسُرعَتِها عندما تلامسُ الأرضَ الصَّلبةَ أو الحصى يَنقَدِحُ منها الشّررُ والنّارُ، وهذا دليلٌ على قوّتِها وسُرعَتِها وقوّةِ انطلاقِها لملاقاةِ الأعداء.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ المغِيرَات: أي على الأعداء، صُبْحًا: أي وقت الصُّبح، وهذا هُو الغالب في هَدْيِ النّبيّ ﷺ وجيوشِه، يُغيرُ على الأعداء في هذا الوقتِ.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ أي: عندما تأتي بهذه القوّةِ وهذه السُّرعَةِ إلى حيث مكان الأعداء؛ تثِيرُ الغُبارَ في ساحةِ القتال من شدّةِ العَدْوِ الّذي كانت عليه حتّى وصلَتْ إلى ساحة القتال.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أي: بالمقاتل في سَبيل الله وهو على متنِها، ﴿جَمْعًا﴾ أي: جموع الأعداء، فتأتي مُنطَلَقةً، وَتدخل بالمقاتل عليها في صفوفِ الأعداء، حتّى يكونَ منه بإذنِ الله ـ سُبحانه وتعَالى ـ الفتْكُ بهم.

هذَا هو القَسَمُ.

أمَّا المقسَمُ عليه: فهو بيانُ حال الإنسان ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ والكَنُودُ: هو الجاحد للنِّعمة، فهذَا حال الإنسان عمومًا، يتفضَّل عليه ربُّه بأنواع النِّعَم وصُنوف المنَنِ، فيكون كَنُودًا جَاحدًا لنعمَة الله عليه وفضله ومنّه ـ سُبحانَه وتعالى ـ، ومُمسِكًا شحيحًا بخيلًا لا يُنفِق ولا يَبذُل ممَّا آتاه اللهُ، إلّا مَن سلّمَه الله ونجّاه.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: هذا الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: شهيدٌ على نفسه بهذه الصِّفَةِ الذّميمةِ والخَصلَةِ المشِينَةِ.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ نفسُه لا تَقنَعُ مهما أوتِيَ من المال، يحبُّ المالَ حُبًّا جمًّا، أي حبًّا شديدًا، لو أوتِيَ من المال واديًا لتَمنّى أن يكون له واد آخَر.

ثمَّ نبَّه ـ تبارك وتعالى ـ على ما يُعِينُ العبدَ على النّجاة من هذه الخصال والسَّلامة من هذه الصِّفات، فقال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أي: الإنسان ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ هذا أمرٌ جديرٌ بالعبد أن يكون على ذكرٍ له وعلم به، وأنّ هذا

---

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه أحمد (٦٠٧٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٢٥٦١).

الجحودَ لنعمَةِ الله، وهذا الحبَّ للمال والانكبابَ عليه، والانشغالَ به عمَّا خُلقَ العبدُ لأجله وأوجدَ لتحقيقِه؛ المآل فيه إلى أنّ هذا العبدَ سيموت، ثمَّ يُبعثَرُ ما في القبور، ويقومُ النّاسُ من قبورهم للمُجازاة والمحاسبة.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يُحصَّل في ذلك اليوم ما انْطَوَتْ عليه، ليُجازَى العبدُ على ما كان عليه من شُح وبُخل، وكنودٍ وغيرِ ذلك منَ الخِصال الذّميمَة.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي: مُطّلعٌ على أعمالهم الظّاهرةِ والباطنةِ، الخفيَّةِ والجَليَّةِ، ومُجازيهم عليها.

و«الخَبير» اسمٌ من أسماءِ الله؛ وهو العَليم ببواطن الأمور وخفَايا الأشياء، كعِلمه بظاهرِها وعلنِها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

○ ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ هذا اسمٌ من أسماء يوم القيامة، وقد تعدّدت أسماؤها لتَعدّدِ صفاتِها؛ فهي أعلامٌ وأوصافٌ، لأنها دالّةٌ على أوصاف عظيمة لذلك اليوم.

و«القارعة» أي: الّتي تقرَعُ القلوبَ والأسماعَ من هَوْل شدّتِها وعِظَم خَطْبِها.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ وهذا استفهامٌ للتّهويل، وبيان عِظَم ذلك اليوم، وأنّه يومٌ عظيمٌ، ويومٌ شديدٌ.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ في ذلك اليوم تكون حال النّاس في مَوَجَانِ بَعضِهم ببعضٍ، واختلاطِ بعضِهم ببعضٍ كالفراش عندما ينتَشر ويموجُ بعضُه في بعض، وهو نظيرُ قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ﴾ أي: الصُّمُّ الصِّلَابُ القَويَّةُ المتماسكةُ المتِينَةُ ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ أي: كالصُّوف المِندُوفِ، فأصبح بعدَ ندفِه كومًا، لكنّه غيرُ مُتماسِكٍ، بحيث لو هبَّ هواءٌ يسيرٌ تلاشى، فتذهبُ عن تلكَ الجبال صلابَتها وقوَّتها.

ثمَّ بيَّن حالَ النّاس في ذلكَ اليوم، وأنّهم على قِسمَيْن:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رَجَحَتْ بالحسنات والطّاعات وأنواعِ القرُبات، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: في جنّة الخُلدِ، في نعيم مُقيم لا يحُول ولا يزُول أبدَ الآباد، قريرةٌ عينُه ـ بمنّة الله عليه وفضله جلّ في عُلاه ـ راضيةٌ، ولهذا جاء في الحَديث الصَّحيح: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنّةِ الجَنّةَ، يَقول اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: تريدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنّةَ، وَتُنَجِّنَا منَ النّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ منَ النّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ**

ﷻ»[٧]. جعلنَا الله أجمعين منهُم بمنّه وكرمه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: بالسَّيِّئاتِ والمعاصي والذّنوب ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي: أنّ النّارَ هي مأواه وهي مكانُه، وقيل: «أمُّه» أي: رأسُه، أي: يهوي على رأسه في النّار.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ أي: هذه الهاوية، تعظيمٌ لأمرها، وبيانٌ لخطورتها.

﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي: نارٌ شديدةٌ مُحرِقَةٌ، وقد جاء في الحَديث أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»[٨]. أعاذَنا الله منها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾.

«وهي سورة أخلصت للوعد والوعيد والتهديد، وكفى بها موعظة لمن عقلها»[٩].

○ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي: أشْغَلَكم، وجعلكم تَمضُون في هذه الحياة في غَفلَةٍ مُستَمرَّةٍ.

﴿التَّكَاثُرُ﴾ أي: طلب ما يتكاثر النّاسُ به؛ من مال وتجارةٍ ومساكن ومركوباتٍ وولدٍ، وغيرِ ذلك، ممَّا يُقصَدُ منه مكاثرةُ كلّ واحدٍ للآخَر؛ أشغَلكم هذا التّكاثر عمَّا خُلقتم لأجله، وأوجدتمْ لتحقيقه، وهو عبادةُ الله، وهذا حال كثير من النّاس؛ انشغلوا بما خُلقَ لأجلهم عمَّا خُلقوا هُم لأجله، وهو عبادةُ الله.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: استَمرَّتْ حالكم في هذا الانشغَال، وهذا اللّهوِ حتّى مُتّمْ وأدخِلْتم القبور، وهي حال كثيرٍ من النّاس؛ فتجد الواحد منهم في لهثٍ وراءَ هذا التّكاثر حتّى يموتَ، ومنْ ثَمَّ يُدرَجُ في قَبرِه، وسُمِّيَ هذا الدّخول للقبور زيارةً؛ لأنّ القبرَ بَرزَخٌ بينَ الدّنيا والآخرة، ومَعبَرٌ إلى الدّار الباقية، يدخُله الميّت دخولَ الزّائرِ؛ لأنّه لا يَستَمرُّ فيه، وإنّما هي زيارةٌ ويَنتَقِل منه إلى الدّار الآخرة.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ ﴿كَلَّا﴾ هذا زَجرٌ عن هذه الحال وهذه الصِّفة، أي: ليس الأمرُ كما أنتمْ مُنشَغِلين به من تكاثرٍ وغفلةٍ، سوف تعلمون: أي إذا أدخِلْتمُ القبورَ، ورأيتمْ عاقبةَ العمل حَسنِه وسَيِّئِه.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تأكيدٌ لهذا الأمر، وبيانٌ لعِظَم هذا الشّأن.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي: لو كان عند الإنسانِ علمُ اليقين بهذَا المآل وهذا المصير لما ألهاه التّكاثر، ولَمَا

---

(٧) أخرجه مسلم (١٨١) عن صهيب رضي الله عنه.

(٨) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٩) انظر: «الفوائد» لابن القيم ص ٣٠.

أشْغَله عمَّا خُلقَ لأجله وأوجدَ لتحقيقه من طاعة الله.

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ أي: لتَرِدُنّ القيامةَ، فلَتَرَوُنّ الجحيمَ الّتي أعدّها اللهُ للكافرين.

والجحيمُ ـ وهي النّار ـ يؤتَى بها يومَ القيامة إلى أرضِ المحشَر، كما في الحديث: «**يُؤْتَى بِجَهَنّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَام، مَعَ كُلّ زِمَام سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»(١٠). فيُعاينُها النّاسُ ويُشاهِدُونَها.

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: تعاينُونَها حقيقةً بأبصاركم؛ وَذلك يَوم القيامة، يَوم يقف النّاسُ بَين يَدي الله.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أي: يسألكم اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ يومَ القيامة عَن النّعيم الّذي آتاكم في الدّنيا، ويَدخُل في ذلك نعمةُ المال، ونعمةُ الصّحَّةِ، وَنعمةُ الوَلَدِ، وَنعمةُ المركَب، ونعمةُ المسكَن، حتّى الماءِ البارد يُسأل عنه العَبدُ يومَ القيامة(١١). وهَذا فيه التّنبيهُ عَلَى ما صُدّرَت به السُّورة ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ أي: أشغَلكم، وأنتم ستسألون يومَ القيامة عنه؛ فإيَّاكم أن يُشغِلَكم هذا النّعيم، وهذا المال عن شُكرِ المنعِم، والقيام بحَقّه والإقبال عليه، وحُسنِ عبادته والاستعدادِ للقائه ـ جلّ في عُلاه ـ, وإياكم أن يشغلكم هذا الذي خلق لأجلكم عمَّا خُلقْتم أنتم لأجله. ●

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

○ هذه سورةٌ عظيمةٌ، بليغةٌ، مُوجَزَةٌ، حوَتِ الخيرَ كُلّه، أقسَمَ اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ فيها بالعصر وهو تقلّبُ اللّيل والنّهار، وهو مَحلّ أعمال العباد من خيرِها وشَرّها.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ أي: جنس الإنسان ﴿ لَفِى خُسْرٍ ﴾ النّاس كلّهم خاسِرُون، إلّا مَنِ اسْتَثْنَاهمُ اللهُ في هذه السُّورةِ، وهُم مَنْ جمَعوا صفاتٍ أرْبعًا:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: بالله وبما أمرَهُم ـ تبارك وتعالى ـ بالإيمان به، وهذا فيه العلمُ؛ لأنّ الإيمانَ لا يكونُ إلّا عن علم وبصيرةٍ.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: تقرَّبوا إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأنواع العبادات وصنوف القرُبات طلبًا لرضوانه سُبحانه، وفي إيمانهم وعملهم الصَّالح تكميلٌ لأنفُسِهم.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بدين الله الّذي رَضِيَه لعباده وشرَعَه لهم، وتواصيهم به، أي: حثّ بعضِهم بعضًا على

---

(١٠) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(١١) أخرج الترمذي (٣٣٥٨)، والحاكم (٧٢٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنّ أَوَّلَ مَا يُسْأل عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ـ يعني العبد منَ النّعيم ـ أنْ يُقَال لَهُ: أَلَمْ نصِحَّ لَكَ جسْمَكَ، وَنَرْوِيَكَ منَ المَاءِ البَارِدِ؟». وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٥٣٩).

العنايةِ به والمحافظةِ عليه، وهذا تكميلٌ لغَيْرِهم بعد أن كمَّلوا أنفُسَهم.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدَار الله المؤلِمة، وهذا فيه أنّ طريقَ الدّعوة لا بدّ فيه من أذى؛ فلْيَصْبِرِ الإنسانُ ولْيَحْتَسِبْ، حتّى يكونَ بإذن الله ـ تبارك وتعالى ـ من النّاجين الفائزين، وقد قال الإمامُ الشّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو فكّر النّاسُ في هذه السُّورة لكفَتْهُم» أي: لكفَتْهُم واعظًا وزاجرًا عن المنهِيَّات، وسائقًا إلى الخَيْر والبرّ بأنواعِه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾.

○ ﴿وَيْلٌ﴾ أي: خسرانٌ وهلاكٌ، وقيل: هو وادٍ في جهنّم، ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي: هذا شغله ودَيدَنُه الهَمزُ واللّمزُ؛ أي: الوقيعةُ في أعراض النّاسِ والطّعنِ فيهم والثّلْب لهم، والهَمْزُ بالقَول، واللّمْزُ بالفعل والإشارَة.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي: هذا همُّه، جمْع المال والاستكثار من جمعه وتعداده، وأنّ عندَه منَ المال كذا وكذا، ويَملكُ من الرَّقيق كذا، ويَملكُ من المواشي كذا، ويملكُ منَ المساكنِ كذا، ويملكُ منَ المزارع كذا... إلخ، مُعدّدًا مُتفَاخِرًا مُتباهيًا مُتَعاليًا على النّاس بالأموال الّتي عنده.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ يَظنّ مَنْ هذا شأنُه وهذه صفته أنّ هذا المالَ الّذي يَجمَعُه ويتكاثر به ويتفاخَر به يكونُ سببًا لخلودِه وبقائه في هذه الدّنيا.

﴿كَلَّا﴾ ليس الأمرُ كما ظنّ ولا كمَا يحسَبُ.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ مَآل هذا أنّه يموت، ويَترُكُ مالَه وراءَ ظَهرِه، ثمَّ يكون مَآله يومَ القيامة أن يُرمَى ويُلقَى في النّارِ، والنّارُ من أسمَائِها «الحُطَمَة» لأنّها تحَطّمُ، أي: تَكسِر وتَهشِم ما أُلقِيَ فيها من شدّتِها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ ما هي هذه الحُطَمة؟ ماذا تكونُ؟ الاستفهام للتّهويل، وبيانِ عظَم خطورَةِ هذه النّار.

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ أي: المسَعَّرَة، وبشدّةِ الإيقاد يزدَادُ حَرُّها ـ أعاذَنا الله منها ومن كلّ ما قَرَّبَ إليها من قول وعمل ..

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ خُصَّت الأفئدةُ بهذا الاطّلاع؛ لأنّ الأفئدةَ هي منبعُ الأعمال ومصدَرُها والمحرّكُ لها؛ فالأعمال تَنبُع منَ القلوب، «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ**

كُلّهُ؛ ألَا وَهِيَ القَلْبُ»[١٢].

﴿إِنَّهَا﴾ أي: النّار ﴿عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي: مُغلَقةٌ مُحكَمَةُ الإغلاق.

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ أي: على باب جهنّم، سُدّتْ عليهم بها الأبوابُ، فلا خُروجَ لهم منهَا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

○ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ ألَمْ تَعلَمْ أيُّها النّبيُّ! كيف فعل ربُّك بأبْرَهَةَ وجنودِه ومعهم الفيل حينما أتَوْا قاصِدين تخريبَ الكعبة.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ أي: مَكرَهم وتخطيطَهم لهَدْم بيت الله ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي في ضَياع وذهابٍ، وعاقبةٍ وخيمةٍ لهم، فلم يَبُوؤُوا بهذه الفِعلة وهذا المكر والكَيد إلّا بالخُسران.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعةٌ منَ الطّير مُتتابعةٌ، فهؤلاء جاؤوا بالفِيَلَة، وهي أضخَمُ الحيوانات وأكبَرُها بزَعمهم، لا يَصُدّهم صادٌّ ولا يَردّهم عن هدْم البيت رادٌّ، فأرسلَ اللهُ عليهم طَيْرًا صغيرةً تَحمل حجارةً صغيرةً في مناقيرها.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ حجارةٌ من الطّين المحمي الصّلبِ من المكانِ العالي، فمَا يقَع حجَرٌ منها على واحد من هؤلاءِ إلّا هلكَ شرَّ هَلَكَةٍ.

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أي: هذه الجُموع الّتي جاءت لهَدم بيتِ الله ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي: الزَّرع الّذي هجَمَتْ عليه الماشيةُ وأكلَتْه ووَطَأتْه بأقدامها، وهذه من آياتِ الله ـ سُبحانه وتعَالى ـ وعظيم قدرَته، وأنّ العبدَ مهما بلغ مكرُه وكيدُه وترَبُّصُه يجعَل اللهُ ـ سُبحانه وتعالى ـ له العاقبةَ الوخيمةَ والخسرانَ في الدّنيا والآخرة.

والنّبيُّ ﷺ وُلدَ في هذَا العام ـ عَام الفيل ـ الّذي وقعَتْ فيه هذه الحادثة العظيمةُ، فكانت من جملة الإرهاصات لمبعَثِه ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾.

(١٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النّعمان بن بشير رضي الله عنه.

○ قال كثيرٌ من المفسِّرين: إنّ الجارَّ والمجرورَ في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ مُتعلّقٌ بالسُّورةِ الّتي قَبْلَها وهي سورةُ الفيل؛ فإنّ هذا الهلاكَ لأبرهَة وجنودِه بهذه الآية الباهرة العَظيمة الدّالّةِ على كمال قدرة الله وعظيم بَطشِه ـ سبحانه وتعالى ـ، فأصبحَ لقرَيْشٍ بعدَ هذه الحادثة هَيْبَةٌ، واطْمَأنّوا في سُكناهُم وفي رَحَلَاتِهِم التّجاريَّة في الصَّيفِ والشِّتاء.

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ أي: ما هُم فيه من نعمةٍ ورخاءٍ وأمنٍ، وأنّ المسالك والرَّحلات التّجاريَّة آمنةٌ في الشِّتاء إلى اليَمن، وفي الصَّيف إلى الشّام، تَذهَبُ وتعودُ بكُلّ أمانٍ؛ وهذه نِعَمٌ تَستَوْجبُ شُكرَ المنعِم وإخلاصَ الدّينِ له، ولهذَا قال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ أي: ليُخلصُوا عبادتَهم لله وحدَه، مُفرِدِينَه ـ سُبحانه وتعالى ـ وحدَه بالعبادَة، مُخلصِين له الدّينَ ـ جلّ في عُلاه ـ، فلا يجعَلوا معَه شريكًا، ولا يتّخِذوا معه نِدًّا.

﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ الّذي مَنّ عليهم بالطّعام ومَنّ عليهم بالأمن؛ فهذه النِّعَمُ وهذَا الأمنُ مُوجبٌ لشُكر المنعِم، وإخلاص الدّين له، وإفرادِه ـ تبارك وتعالى ـ وحدَه بالعبادة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾.

○ ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ أيُّهَا النّبيُّ! والاستفهامُ معنَاه التّعجُّب ﴿ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ أي: يُكذّبُ بالجزاءِ والبعثِ والوقوفِ بين يدي الله ـ سُبحانه وتَعالى ـ ومُلاقَاتِه ـ جلّ في علاه ـ، ويُكَذّبُ بالدّين، أي: بالشّرع الّذي شرَعَه ودعا عبادَه إليه، القائم على توحيده وإخلاصِ الدّين له ـ جلّ في عُلاه ـ.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ أي: من ثمراتِ هذا التّكذيب أن يكونَ الإنسانُ بهذه الصِّفةِ وهذا الحال؛ ﴿يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾ أي: يَزجُره زجرًا شديدًا، ويرْدَعُه رَدْعًا، ويَدفَعُه دفعًا، فلا يتعامَل معَه بشَفَقَةٍ ولا رحمةٍ، ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ غيرَه ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ لأنّه في نفسِه لا يُطعِم ولا يُنفِق ولا يَبذُل؛ فكيفَ يكونُ منه حضٌّ لغَيرِه وحثّ له للقيام بذلك؟!

ثمَّ قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ وصفهم بأنّهم يُصلّون، فليسوا تاركين لها، لكنّهم ساهون عنها؛ بتضييع أوقاتِها، وعدم الاهتمام بشروطها وأركانها وواجباتها.

وفَرْقٌ بين السَّهو عن الصَّلاة والسَّهو في الصَّلاة؛ فالسَّهو في الصَّلاة يَقَعُ من الإنسان ويُجبَرُ بسجودِ السَّهْوِ، لكنّ المصيبةَ في السَّهْوِ عن الصَّلاةِ؛ بالغَفلة عنها، وتضييعِ أوقاتِها أو شُروطِها أو أركانِها، ممَّنْ ليسَتِ الصَّلاةُ مُعظّمَةً عنده وليسَ لها شأنٌ عندَه.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ أي: بأعمالهم وصلاتِهم النّاسَ، قال ﷺ: «**يَقومُ الرَّجُل يُصلّي، فيُزَيّنُ صَلَاتَهُ لَمَا يَرَى مِنْ**

نَظَرِ رَجُل»[١٣].

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ أي: من شدّةِ بُخلهم يَمنَعُون الماعون، وهو ما يُعارُ لوقتٍ مُحَدّدٍ لِيُنتَفَعَ به ويُعَادَ إلى صاحبه، مثل: القِدْر والمنخَل والفأس والإبرة وغيرِ ذلك من الأشياء الّتي يَستَعِيرُها الجيرانُ بعضُهم من بعضٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

○ في هذه السورة ذكرُ منّةِ الله سُبحانه على نبيّه ومُصطفَاه، بأنْ أعطاه الكوثَر، أي: الخَير العظيم والفَضل العَميم؛ ومن ذلكم: النَّهر الّذي يمنّ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ به على نبيّه ﷺ يومَ القيامَة، وكذلك الحوض المورود.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أي: شكرًا لله على منّه وفضله وعظيم عطائِه، ﴿وَٱنْحَرْ﴾ ذبيحتَك لربّك، مُخلصًا دينَك لله، كما قالَ الله تعَالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [سُورَةُ الأنعَام].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: عدوَّك ومُبغِضَك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أي: الأقطع من كلّ خير، والأقطع ـ أيضًا ـ منَ الذّكر الحَسَن، فلا يُذكَرُ إلّا بالشّرّ والسُّوء.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

هذه السُّورة «سورة الكافرون» وهي سورة البَراءة منَ الشِّرك والمشركين، والكفر والكَافرين.

﴿قُلْ﴾ أي: أيُّها النّبيُّ! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: بالله ـ سُبحانه وتعَالى ـ، يا مَن تعبدُون معَه غيرَه من الأصنام والأوثان.

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: منَ الأصنام والأوثان الّتي اتّخَذْتموها أندادًا وشُركاءَ لله ـ سبحانه وتعالى.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ مع أنّهم يعبدون اللهَ في جملة ما يعبدُون! لكنّ العبادةَ لله لا تكونُ عبادةً إلّا بالإخلاص، فإذا لم تكُنْ خالصَةً لا تكونُ عبادةً، كما أنّ الصَّلاةَ لا تكونُ صلاةً إلّا بالطّهارةِ، فلو أنّ إنسانًا صلّى من غير طهارةٍ لصَحَّ أن يُقَالَ: لم يُصَلّ، وكذلكَ مَن عَبَدَ اللهَ بغَير الإخلاص صحَّ أن يقالَ: لم يَعبُدِ اللهَ؛ لأنّ عبادةَ الله لا تكون إلّا بالإخلاص.

---

(١٣) أخرجه أحمد (١١٢٥٢)، وابن ماجه (٤٢٠٤) عن أبي سعيد رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٧).

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ قيل: إنّ الأوّلَ من حيث المعبودُ، فالنّبيُّ ﷺ يعبدُ اللهَ مُخلصًا له دينَه، وهُم يعبدون الأصنامَ والأوثانَ، والثّاني من حيث العبادةُ نَفسُها، فعبادةُ النّبيِّ ﷺ التّوحيدُ والإخلاصُ، وعبادةُ هؤلاء الشِّركُ والتّنديدُ, وقيل: ليَدُلّ الأوّل على عدم وجودِ الفِعل، والثّاني على أنّ ذلك قد صار وصفًا لازمًا.

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ هذه براءةٌ منهم ومن دينهم، ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ أي: عبادة الأصنام والأوثان والأنداد والشّركاء ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ وهو التّوحيد؛ عبادة الله وإخلاص الدّين له، جلّ في عُلاه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾.

- في هذه السُّورة البِشارةُ للنّبيّ ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ بالنّصر العظيم والفَتح المبين.

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ أي: فتح مكّةَ؛ إشارةً إلى عظيم منّةِ الله عليه، وأنّه أمرٌ مُتحقّقٌ وكائنٌ.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ أي: أكثِرْ منَ التّسبيح والاستغفَار، وكان ـ عليه الصّلاةُ والسّلام ـ بعد نزول هذه السُّورة يُكثر من أن يقول: «**سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ، اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»، يَتأوَّل القرْآنَ(١٤).

ومنَ المعاني المستفَادَةِ من هذه السُّورة: إشعَارُ النّبيِّ ﷺ بدنوّ أجَله، إذا حصَل هذَا النّصرُ والفتحُ؛ لأنّ الطّاعاتِ العظيمةَ تختَمُ بالاستغفَار، وكذا الحياة الكريمَة حياةُ الإيمان والطّاعة تختَمُ به، فكان آخِرَ ما سُمع من نبيّنا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ قبَيْلَ وفاتِه: «**اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ**»(١٥).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾.

- ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ أي: خَسِرَتْ يداه وخابَتْ, الأوّلُ: دعاءٌ عليه، والثّاني: خَبَرٌ عنه.

وأبو لَهَب: هُو عَمُّ النّبيّ ـ عليه الصّلاةُ والسّلامُ ـ، وكانَ من أشَدّ أعدائِه، كثيرَ الأذيَّةِ له والتّنقص له ولدينه.

(١٤) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤) عن عائشة ﭫ.
(١٥) أخرجه البخاري (٤٤٤٠)، ومسلم (٢٤٤٤) عن عائشة ﭫ.

وثبتَ في سبَب نُزولها أنّ النّبيَّ ﷺ لما صَعِدَ الصَّفَا ذاتَ يوم فقَال: «**يَا صَبَاحَاه!**» فاجتمَعَتْ إليه قرَيْشٌ قالوا: ما لكَ؟ قالَ: «**أَرَأَيْتمْ لَوْ أَخْبَرْتكُمْ أَنّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتمْ تصَدّقونِي؟**». قالوا: بلى. قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**». فقال أبو لهب: تبًّا لَكَ! ألهذا جمعْتَنا؟! فأنزلَ اللهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١٦].

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ الأموالَ الّتي جَمعَها والأولادَ والتّجارةَ وغير ذلك؛ كلّ هذه لا تغني عنه منَ الله شيئًا.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ هو وامرأته يَصْلَوْنَ النّارَ، وهذه السُّورةُ نَزَلَتْ في حياةِ أبي لهَب وامرأتِه، وهذه من الآيات العَظيمة والبراهين العَجيبة على صِدق ما جاء به الرّسول ﷺ؛ فإنّ فيها الإخبارَ أنّهُما يَمُوتَان على الكُفرِ والمعاداةِ لدين الله ـ تبارك وتعالى ـ ، وكان مَوتهما على ذلك.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ وهي: أرْوَى بنت حَرْبٍ أمُّ جَميل ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ كانت تحمل شَوْكَ السّعدان والأذى، وتَضَعُه في طريق النّبيّ ﷺ، مبالغةً في إيذائه ﷺ.

﴿فِي جِيدِهَا﴾ أي: عُنُقِها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: ترفَعُ به إلى شَفير جهنّم، ثمَّ يُرمَى بها إلى أسفَلها، أو أنّها تَحمل في النّار الحطبَ على زَوجها، مُتقَلّدَةً في عُنُقها هذا الحبلَ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾.

○ هذه «سورة الإخلاص» تَعدِل ثلثَ القرآن، كما ثبتَ بذلك الحديث عن نبيّنا ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ أنّه قال: «**أَيَعْجزُ أحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ ثلث القرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**». فشقّ ذلك عليهم وقالوا: أيُّنَا يُطِيق ذلكَ يا رسولَ الله؟ فقال: «**اللهُ الوَاحدُ الصَّمَدُ ثلث القرْآنِ**»[١٧].

وتسمَّى: «سورة الإخلاص» لأنّها أخلصَت لبيان التّوحيدِ العِلمي، وسورة الكافرون ـ أيضًا ـ تسَمَّى «سورة الإخلاص» لأنّها أخلصَت لبيان التّوحيد العَملي، والتّوحيد نوعان: عِلمي وعَمَلي.

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: مُتفرِّدٌ ـ سُبحانه وتعَالى ـ، لا نِدّ له لا في أسمائه وصفاته، ولا في ربوبيَّتِه، ولا في ألوهيَّتِه ـ جلّ وعلا ـ.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الصَّمد، أي: الكامل في أسمائه وصفاته، الكامل في سُؤدَدِه ونُعوتِه، والصَّمد: الّذي تَصمَدُ إليه

(١٦) أخرجه البخاري (٤٨٠١)، ومسلم (٢٠٨) عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.
(١٧) أخرجه البخاري (٥٠١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم (٨١١) عن أبي الدّرداء رضي الله عنه.

الخلائق وتَفزَعُ في حاجاتِها؛ ففيه دلالةٌ على غِنَى الله عن جميع المخلوقاتِ لكماله في جميع صفاتِه، وعلى كمال قدرتِه وافتقارِ المخلوقات كلّها إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأنّها تَصمَدُ إليه وتَفزَعُ إليه في كلّ حاجاتِها، لا غِنَى لها عنه طَرْفَةَ عين.

ومن أحدِيَّتِه وصمَدِيَّتِه وكماله سُبحانه؛ أنّه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ نفيٌ للأصل والفَرع؛ تَنزَّه وتقدّس عن ذلك.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: لا مَثِيلَ له، ولا نِدّ له، ولا سَمِيَّ له، وتنزَّهَ عن المثال والنِّدّ والنّظير.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

○ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ الفَلَق: الصُّبحُ، أي: أعوذ بالله فالِقِ الإصباح، وقيل . أيضًا .: فالق النّوى.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: منْ شرِّ كلّ مخلوقٍ فيه شرٌّ، وهذا عامٌّ في التّعوُّذِ من كلّ المخلوقاتِ الّتي قامَتْ فيها الشّرور.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: اللّيل، وما يكونُ فيه من هَوَام، وما تَنبَعِث فيه من شياطين، وما يتحرَّكُ فيه من شُرور.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ أي: السَّواحرُ اللّاتِي يَنفُثْنَ في العُقَد حتّى يَتمَكّنَ السِّحرُ ويَقَع، ولا يقَع إلّا بإذن الله ﷻ.

والتّعوُّذ بالله ﷻ منهُنّ دليلٌ على أنّ السِّحْرَ له حقيقَةٌ وله تأثيرٌ، منه ما يَقتل، ومنه ما يُمرِضُ، ومنه ما يُفرِّق بينَ المرءِ وزَوجه، أعاذنا الله ﷻ وحَمَانا أجمَعين.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ أي: من شَرِّ كلّ حاسِدٍ إذا تحرَّكَ فيه الحَسَدُ، ويدخُل في ذلك العائِنُ؛ لأنّ العينَ لا تكونُ إلّا عن حَسَدٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

○ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ هذا تعوُّذٌ بالله ـ سُبحانه وتعالى ـ بذِكر ربوبيَّتِه وألوهِيَّتِه

ومُلكِه، وهذه الأسماء الثّلاثةُ ـ ربُّ النّاس، ملكُ النّاس، إِلَهُ النّاس ـ مرَّتْ معنا في فاتحة الكتاب؛ حيث وردَتْ في مقام الثّناءِ على الله ﷻ، وفي خاتمةِ الكتاب وردَتْ استعاذةً به ـ سُبحانه وتعَالى ـ واعتصامًا به ـ جلّ في عُلاه ..

﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وهو الشّيطان، ذُكِرَ بهذَيْن الوصفَيْن:

﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الّذي يُلقِي الوساوسَ في الصُّدور.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ أي: الّذي إذا ذُكِرَ اللهُ ﷻ؛ خنَسَ وانْطرَدَ، وابتَعَدَ عن الإنسان.

وفي هذا الحثّ على المحافظةِ على ذكر الله ﷻ، وأنّ ذلكَ أعظَمُ واقٍ للعبد منَ الشّيطان.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يُلقِي الوساوسَ والشّرورَ في صُدور النّاس؛ منَ الأفكار الرَّديئةِ، والعقائدِ الفاسدةِ، والمعاني الخَبيثة.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أي: أنّ الوَسْواسَ كما يكونُ منَ الجنّ يكونُ منَ الإنس أيضًا.

والحاصل أنّ المسلمَ مطلوبٌ منه أن يُعنَى بفَهم معاني كلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ويكفي العوامَّ أن يحفَظوا هذه السُّوَرَ: الفاتحة، ثمَّ من الزَّلزَلَة إلى النّاس، ويُعنَوْا بمُراجعَة معانيها ومعرفةِ دَلالاتِها، حتّى تكونَ تلاوتُهم لها في كلّ مرَّةٍ عن فهم وتَدبُّرٍ، وعقل للخِطاب.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.